كلمات من البعد الرابع

الى ن.ع.

سألت عنك قبل ان اهم بالسفر
فتشت عنك الصخر
والبحـار
والصحراء والزمن.
حدقت في مجاهل الوجوه
عبر موسم الظمأ.
وخضت لجة التراب
والهواء
والنيران والمطر.
هتفت باسمك الندي ليلـي المغلـق
الابواب

ما لبيت
أين كنت. ؟
الموت والميلاد انت لي
وما عرفت أنني معلق المصير
بين .. بين.
أصغيت علني أميز الصوت ـ الخطى ـ
تجيء عبر شاسع المكان
والزمـان
ما استطعت
وددت لو ينيخ الصمت
فوق صاخب الدوار.
لو يخنق الاصوات كلها
لو حملته الريح وقع خطوتك.
يا طول ما وددت.

***

وبرهة .. فبرهة واصلت رحلتي
وما لمحت عابرا
يا قسوة المسير دونما رفيق.
فالدرب موحش
ومفرق في البعد
خلف كل عطفة كمين.
وبين كل خطوة وخطوة « جليب » (١)
لكنني عشقت رحلتي
صمدت ما انعطفت
أو وقفت.
ظهري الى الصوان
ليس في يدي غير مـا وهبت من
مخالب تقاتل الخطر.
حلمت بالفولاذ
والرفاق.
حلمت اننا وانت ابحر من العيون
تبـدع النهار
يا نهـار.

***

حييت زائري رجوته العبور.
عانقتـه
افترشت ظله رجوت ان يظل مؤنسي
احتضنته وسرت.

***

يا زائري ..
يا مخجلي
فليس في الابريق قطرة من زيت.
وليس في « مزودتي » (٢) طحين.
ماذا أعد للعشاء غير حفنة الحصى
ماذا لدى الفقير
غيـر جلده
وعظمه
وحزمة من الانفاس مطلقه
« وذكرت اهلي بالعراء
وحاجة الشعث التوالب.
المصرمين على التلاد
اللامحين الى الاقارب. » (٣)

***

ماذا لدى المسافر الغريب
غير رحلة مغفورة الشدقين.
سبع من الوديان طولها
كما روى الذين ما اجتازوا
واعلنوا الرجوع ..
... ...
... ...
قالوا مشقة هو العبور.
فأول الوديان مربض التنين.
يليه جحر حية وعمرها ألفان.
وثالث محط كل الليل.
ورابع يعج بالفيلان.
وخامس الوديان طافح بالدم
وسادس الوديان يا مكفن الرؤى
والرمال.
مفاوز الاعصار
وبعده الذي تخافه الفرسان من زمان.
ففي ذرى أطرافه
جبال مغناطيس.
تجرد الذي نجا
من سيفه
ورمحـه
ودرعـه
وخوذتـه.
لكي يجابه الارصاد عاريا
ومثخنـا
في بدء نشوته.

***

قالوا
تخونوا
وافزعوا
وما تجاوزوا سروج خيلهم.
واعلنوا الرجوع.
وعاودوا الهتاف للبيارق البيضاء.

***

خلفتكم وما أسرجت ضامرا
ولا هززت في يدي السيف
أو غطست في الزرد.
« لا تقبروني ان قبري محرم
عليكم ولكن ابشري أم عامر » (٤)

***

وكنت قد اوغلت في المسير
عندما لفيت
يا مرحبا يا صاحبي
ومرحبا بجيلنا المطل خلف غيمة الغبار.

***

العهد ان نقاتل التنين
والفيلان
والافعى
وان نغيب الظلام
ان نمد وادي الدم قنطرة
وان نروض الاعصار
ان نبستن الرمال
ان نسخر الفولاذ في ذرى الجبال
ان نقمقم الارصاد
ان نشق الدرب للاجيال
فلتمر ، فلتمر

دمشق

خالد ابو خالد

---

١ ـ قليب : بئر ويقال جليب في الكويت
٢ ـ مزودة : كيس صغير مستطيل يحمله المسافر في ريفنا
٣ ـ لحاجز الازدي من الشعراء الصعاليك
٤ ـ للشنفري الشاعر الصعلوك